بسم الله الرحمن الرحيم

[تفريغ المجلس ٣٥]

إن الحمد لله نحمده ونستعينه ونستغفره، ونعوذ بالله من شرور أنفسنا، وسيئات أعمالنا، من يهدي الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله، وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدا عبده ورسوله -صلى الله عليه وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا- أما بعد:

فإن خير الكلام كلام الله تعالى، وخير الهدى هدى محمد صلى الله عليه وآله وصحبه وسلم، وشر الأمور محدثاتها، وكل محدثة بدعة، وكل بدعة ضلالة، وكل ضلالة في النار.

كنا تكلمنا يوم أمس على شيء من حديث النبي ﷺ وهو الحديث الثاني والعشرين، حديث جابر رضي الله عنهما الذي رواه الإمام مسلم.

الحديث الثاني والعشرون

عن أبي عبدِ اللّهِ جابرِ بن عبدِ اللّهِ الأنصاريِّ رضي الله عنهما، أَنَّ رَجُلاً سَأَلَ رَسُولَ اللّهِ ﷺ، فَقَالَ: (أَرَأَيْتَ إِذا صَلَّيْتُ الْمَكْتُوباتِ، وَصُمْتُ رَمَضانَ وأَحلَلْتُ الْحَلالَ وحَرَّمْتُ الْحَرامَ، وَلَمْ أَزِدْ عَلَى ذلِكَ شَيْئًا، أَأَدْخُلُ الْجَنَّةَ قالَ: {نَعَمْ}. رواه مسلِمٌ [١٥].

ومعنى حَرَّمْتُ الحرامَ: اجْتَنَبْتُه. ومعنى أَحلَلْتُ الحلالَ: فَعَلْتُه مُعْتَقِداً حِلَّه)..

هذا الحديث ذكر فيه الرجل -وقلنا هو النعمان بن قوقل رضي الله عنه- هذه الأعمال، وقلنا إن هذه الأعمال هي سبب من الأسباب التي يكون بها الدخول إلى الجنة، وذكرنا أن مثل هذا الحديث جاء في نصوص كثيرة (من صلى البردين دخل الجنة)، وغيرها من الأحاديث، فهي تدل على أنها أسباب لدخول الجنة، وليس المراد أنه يقتصر على ذلك دون سائر الشرائع، فقوله أنه يفعل المفروض من الصلوات، والزكاة، والصيام، والحج، لا يعني ترك سائر الشرائع، بل يفعل ما يجب عليه، ويترك الحرام أيضا، فهذه أعمال هي سبب لدخول الجنة.

[الحديث يوضح بعضه بعضا]

وفي المقابل كذلك هناك أعمال إذا وُجدت تمنع دخول الجنة، وهي أسباب لدخول النار، كقاطع الرحم، وغيرها من الأعمال التي قد تمنع من دخول الجنة، فيستوجب صاحبها العقاب، فإذن هذه الأعمال هي أسباب لدخول الجنة، ولكن هذا السبب لابد أن يستكمل وأن يؤتى به على الوجه الذي يستحق صاحبه به أن يدخل الجنة، فدل هذا على أن المراد أن يؤتى بالسبب مستوفيا، وهذا ما يوضح أحاديث النبي ﷺ التي فيها (من مات وهو يشهد أن لا إله إلا الله دخل الجنة)[1]، أو (من قال لا إله إلا الله مخلصا من قلبه)[2] -وفي رواية (يبتغي بذلك وجه الله)[3] وفي رواية (مستيقنا بها قلبه)[4] وفي رواية (مصدقا بها) وفي رواية (وهو يعلم أن لا إله إلا الله)[5]- (دخل الجنة)، (من كان آخر كلامه لا إله إلا الله دخل الجنة)[6]، فالمراد أن يؤتى بحقيقة هذه الكلمة.

فبفهم الحديث الذي نحن بصدده يظهر منه أيضا معنى هذه الأحاديث، وإن كان بعض أهل العلم يقول: إن هذه الأحاديث قبل نزول الفرائض، فلما نزلت الفرائض والحدود نسختها، والصحيح أنه لا يوجد دليل على أن هذه الأحاديث قيلت قبل نزول الفرائض، فلربما جاء بعضها قبل نزول الفرائض ومنها ما جاء بعد ذلك.

[ضرورة استيفاء كلمة التوحيد لشروطها]

وعليه فيكون المراد بـ**(من قال لا إله إلا الله)** أي قد أتى بشروطها، وانتهت عنها موانعها، فكلمة التوحيد سبب لدخول الجنة لكن بشرطها، ولهذا جاء في الأحاديث الإشارة إلى هذه الشروط، لأنه ليس من قال (لا إله إلا الله) فقط دخل الجنة، لأنه قالها المنافقون، كما قال ﷻ ﴿إِذَا جَآءَكَ ٱلْمُنَٰفِقُونَ قَالُواْ نَشْهَدُ إِنَّكَ لَرَسُولُ ٱللَّهِ وَٱللَّهُ يَعْلَمُ إِنَّكَ لَرَسُولُهُۥ وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ ١﴾المنافقون، فإذن شهدوا، ليس فقط قالوا، بل شهدوا، ولفظ الشهادة يحوي معنى القول وزيادة، لكن شهادتهم غير موافقة وغير

---

[1] أخرجه مسلم (٢٦)، والنسائي في ((السنن الكبرى)) (١٠٩٥٢) واللفظ له، وأحمد (٤٦٤).
[2] أخرجه النسائي في ((السنن الكبرى)) (١٠٩٧٥)، وابن ماجه (٣٧٩٦)، وأحمد (٢٢٠٦٠).
[3] أخرجه البخاري (٤٢٥)، ومسلم (٣٣).
[4] أخرجه مسلم (٣١).
[5] أخرجه مسلم (٢٦).
[6] أخرجه مسلم (٩١٧)، والترمذي (٩٧٦)، وابن ماجه (١٤٤٤)، وابن حبان (٣٠٠٤).

مطابقة، وعلام الغيوب لا تخفى عليه خافية، فهو يعلم صدق القائل من كذبه (وَٱللَّهُ يَشْهَدُ إِنَّ ٱلْمُنَٰفِقِينَ لَكَٰذِبُونَ).

وأيضا قوله ﷻ ﴿قَالَتِ ٱلْأَعْرَابُ ءَامَنَّا قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ...﴿١٤﴾﴾الحجرات، هذا يدل على أن الأمر ليس فقط مجرد قول، بل هناك عمل لا بد منه، ومن هذا العمل ما يقوم بالقلب، وهو عمل القلب، فقوله ﷻ (قُل لَّمْ تُؤْمِنُوا۟ وَلَٰكِن قُولُوٓا۟ أَسْلَمْنَا وَلَمَّا يَدْخُلِ ٱلْإِيمَٰنُ فِى قُلُوبِكُمْ) دل هذا على أن هذه الكلمة (لا إله إلا الله) لها شروطها التي تترتب عليها آثارها.

قال ﷺ (من مات وهو يعلم أنه لا إله إلا الله) فلابد من العلم بهذه الكلمة، ومثله قوله ﷻ ﴿فَٱعْلَمْ أَنَّهُۥ لَآ إِلَٰهَ إِلَّا ٱللَّهُ وَٱسْتَغْفِرْ لِذَنۢبِكَ...﴿١٩﴾﴾محمد، والعلم هو نوع إدراك، وقال ﷺ (من قال لا إله إلا الله صدقا من قلبه) يعني صادق وليس كاذبا، الكاذب لا تقبل منه، (من قال لا إله إلا الله يبتغي بذلك وجه الله) مخلصا خالصا من قلبه، فمن قالها رياء لم تقبل منه، وقال ﷺ (من قال لا إله إلا الله مستيقنا بها قلبه) إذن من قالها وهو يشك لا تنفعه كما قال تبارك وتعالى ﴿إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱللَّهِ وَرَسُولِهِۦ ثُمَّ لَمْ يَرْتَابُوا۟..﴿١٥﴾﴾الحجرات، لم يشكوا، لم يترددوا، ليس يقولها وهو شاك متردد، إذن لا بد من علم، وصدق، وإخلاص، ويقين، علمٌ بلا إله إلا الله ليس جهلا بها، يقين بلا إله إلا الله ليس شكا وترددا وريبا، صدق وليس كذبا، إخلاص وليس رياء، وأن ينقاد لها لا أن يعرض، كما قال ﷺ في حديث أبي موسى لما ضرب ﷺ مثلا للعلم الذي جاء به ومثل الناس تجاهه، فمن الناس من قبل هذا العلم، مثله مثل الأرض إذا أصابها الغيث، فمن الأرض ما تقبل الماء وتعطي العشب، ومنها ما تقبل الماء ولا تعطي عشبا، فينتفعون منها ولا تنتفع، ومن الأرض ما لا تقبل ماء ولا تعطي عشبا، فذلك مثل من اتبع ما جاء به من العلم والهدى ومثل من لم يرفع بذلك رأسا، فلابد من الانقياد لهذه الكلمة وعدم الإعراض عنها، ولابد من القبول لما جاءت به، لا يرد ذلك، وأن يكون محبا لتلك الكلمة، المحبة وليس البغض، ولهذا فهذه الكلمة لابد لها من شروط.

وذُكر أن الحسن البصري جمعه مجلس مع الفرزدق فقال: إن من قال لا إله إلا الله دخل الجنة، فقال الحسن (**نعم ولكن إياك وقذف المحصنات**) إشارة إلى أن هذه الكلمة لابد لها من شرطها، وقيل للحسن البصري رَحِمَهُ اللهُ: أليس من قال لا إله إل الله دخل الجنة؟ قال (**نعم لكن من قال لا إله إلا الله مع القيام بفرائضها وإخلاصها**)، وقيل لوهب بن المنبه: أليس لا إله إلا الله مفتاح الجنة؟ قال (**بلى ولكن كل مفتاح له أسنان، فإن جئت بمفتاح فيه أسنان فتح لك، وإلا فلا**) هذه الأسنان هي شروط لا إله إلا الله.

فإذن هذه الكلمة (لا إله إلا الله) هي سبب لدخول الجنة لكن بأن يؤتى بشروطها، وأن لا توجد موانعها، فإن كان يسب الله سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى، ويسب الدين، ويستهزئ به، ويسب النبي ﷺ، أو يسخر من الشريعة، أو يرى أنه لا يلزمه التحاكم إليها، أو أن يجعل مع الله جَلَّ جَلَالُهُ ندا، أو يرى أنه يسعه أن يخرج عن هذه الشريعة، أو يرى أنه مخير في الحكم بشرع الله جَلَّ جَلَالُهُ أو بغيره، أو أن يقع في السحر الذي هو كفر بالله جَلَّ جَلَالُهُ، أو أن يدوس المصحف، أو أن يتخذ إلها غير الله، أو يتخذ غير الله مع الله إلها، ومعبودا..الخ هذا من نواقض هذه الكلمة (لا إله إلا الله).

فمن قال (لا إله إلا الله) وأتى بشرطها، ولم يقع في مانع من موانعها، فإنه يدخل الجنة كما قال ﷺ.

كذلك في هذا الحديث، فإنها أعمال تدخل صاحبها الجنة، ولكن لابد أن تكون على كمالها، لا أن يكون فيها ما يمنع ترتب أثرها، والحقيقة من قال (لا إله إلا الله) صدقا من قلبه، مخلصا لله عَزَّ وَجَلَّ ممتلئا قلبه بخشيته، والخشوع منه، وهيبته وخوفه ومراقبته، والتوكل عليه، فهذه الكلمة تدفعه للقيام بشرائع الإسلام، لا أن يعرض عنها، لا أن يترك الواجبات، ويأتي بالمحرمات، وعليه فمن قالها ودخل النار، فإنه ليس معه من شروطها ما يكون به يدخل الجنة، فالذي يقول (لا إله إلا الله) ومع ذلك يدخل النار فهذا أحد الرجلين:

أ= إما أنه ناقض لها، أي كافر بالله جَلَّ جَلَالُهُ وهذا قال فيه ﷺ فيما ذكر من أهوال يوم القيامة أنه ينادي مناد (ليتبع كل واحد ما كان يعبد)[1] فكل واحد كان يعبد شيئا يصوّر له، من كان يعبد الحجر يتصور له، ومن

[1] الحديث بطوله أخرجه مسلم (١٨٣)

كان يعبد القمر، الشمس، وليا، صالحا، عيسى ﷺ .. أو غير ذلك، يتصور لهم الشيطان في تلك الصورة فيتبعونه فيلقون في النار، يعبدون غير الله ﷻ، فيبقى من كان يقول (لا إله إلا الله) أو من يزعم أنه يقول إنه يعبد الله، -قال ﷺ- فيأتيهم الله ﷻ في غير صورته، ثم يأتيهم في صورته فيقول (أنا ربكم) ويكشف عن ساقه ﷻ -ولله المثل الأعلى- وليس كمثله شيء وهو السميع البصير، فقال ﷺ (فيخر كل من كان يسجد خالصا لله ﷻ فيسجد، وأما من كان يقول رياء فيصير ظهره كشيء واحد كلما أراد أن يسجد انقلب على قفاه)، أهل النفاق هؤلاء، فإذا قال (لا إله إلا الله) ولم تنفعه، ليس الأمر في (لا إله إلا الله) لأنها الكلمة العظيمة والعروة الوثقى، وقول الصواب، ومفتاح الجنة والكلمة الطيبة، وإنما قائلها لم يأت بشروطها، أو أتى بناقضها، أو قالها نفاقا، فلم تنفعه، وأيضا إذا قال (لا إله إلا الله) ودخل النار فلم تنفعه.

وأيضا إذا قال (لا إله إلا الله) ودخل النار، فإذن لم يستكمل، ولم يأت بها على تمامها، فالأحاديث: (أخرجوا من النار من في قلبه مثقال ذرة من إيمان) هذا قال (لا إله إلا الله)، ولكن لم يأت بشروطها على التمام.

فإذن هذه الكلمة هي سبب دخول الجنة، لكن بتوفر شروطها، وإذا وجد المانع منعَ، فكذلك الحديث (**أرأيت إن صليت المكتوبات، وصمت رمضان**) أيضا: وأديت الزكاة، وحججت البيت ..الخ (**وأحللت الحلال، وحرمت الحرام أدخل الجنة؟**) قال (نعم) فهذه أعمال هي أسباب لدخول الجنة بشرطها، فإن وجد المانع منع، وهذا المانع بحسب فقد يكون مانعا لكن لا يؤثر إلى أن يمنع دخول الجنة، بل بنقص من ثواب صاحبه، وقد يكون مانعا مؤثرا، وهذا أمره إلى الله ﷻ.

فدل الحديث فيما دل من الفوائد على حرص الصحابة على العلم، وعلى الخير، وسؤال الصحابة النبي ﷺ وتعظيم قدر الصلاة والصيام، ولزوم الواجبات على المسلم.

ومما يجب على المسلم القول والعمل والاعتقاد، وأن الحلال يجب اعتقاد حليته، وأن الواجب يجب فعله، والمستحب يستحب فعله، والمباح هو مباح، وأن الحرام يجب اعتقاد حرمته، ويجب تركه أيضا، ومثله المكروه، يجب اعتقاد كراهيته ويكره فعله كذلك، هذا من فوائد الحديث.

[لابد من استيفاء الشروط وانتفاء الموانع في الأعمال]

كما -أيضا- يدل الحديث على أنه إنما سأل الرجل الصحابي ﷺ عن العمل الذي يدخل الجنة، وأنه سبب إذا جاء به على شرطه كان ذلك مقتضيا لدخول الجنة، وكذلك إذا خلا من المانع، فإن وجد مانع فإنه قد يمنع من ترتب هذا السبب، ليس من أن هذا السبب لا يترتب أثره ولكن لانخرام شرط فيه أو لوجود مانع من الموانع.

ومعلوم أن السبب يقتضي ويلزم من وجوده الوجود، ومن عدمه العدم ولكن إذا وجد لابد من توفر الشرط، وانتفاء المانع، ومثل ذلك مثلا الصلاة، فزوال الشمس سبب لوجوب صلاة الظهر، لكن تجب صلاة الظهر بشرطها، فإذا زالت الشمس توفر السبب، وشرط الوجوب أن يكون الشخص أهلا للتكليف -مثلا-، وأن لا يوجد مانع، فإن وجد مانع فلا تلزمه، ولا تجب عليه، أو يتغير الحكم، فكذلك في هذه الأعمال، هي أسباب لدخول الجنة، ولا بد من توفر شرطها وأن يؤتى بهذا السبب على التمام ﴿...وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ ۝٤٦﴾ فصلت.

[النهي عن الاغترار بالنفس]

لا يقل الواحد أنا فعلت، وعملت، وعملت، وما أدراك أنه تقبّل منك؟ كان السلف يقول أحدهم -كما ثبت عن ابن عمر رضي الله عنهما- **(لو علمت أنه تقبّل مني ركعتان لاطمأن قلبي)** -أو كما قال- لأن الله ﷻ قال ﴿..إِنَّمَا يَتَقَبَّلُ ٱللَّهُ مِنَ ٱلْمُتَّقِينَ ۝٢٧﴾ المائدة، ومن الذي يجزم، ويشهد لنفسه بأنه من أهل التقوى، فليس الأمر بهذه السهولة، ولهذا قال كثير من التابعين كابن أبي مليكة وغيره (أدركت كذا من الصحابة كل يخشى على نفسه النفاق)، وحاشاهم رضي الله عنهم لكن من تعظيم الله ﷻ يخشى -الواحد- على نفسه أن يكون مقصرا، ولهذا المؤمن التقي إذا وقع منه الذنب اليسير فكأن جبلا فوق رأسه، وأما المنافق فيعمل ما يعمل من العظائم ولا يرى ذلك إلا كأنها ذبابة وقعت على أنفه ففعل هكذا فطارت، فيستهين ويستسهل الأمور، وليس كذلك المؤمن.

فهذه تتمة الحديث، لعلنا نكتفي بذلك والله أعلم.